جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

مشكلات الإعلام الأمني المهني وسبل علاجها

العقيد ركن د. علي نجيب عواد

٢٠٠٦

مشكلات الإعلام الأمني المهني وسبل علاجها

العقيد ركن د. علي نجيب عواد

١ . مشكلات الإعلام الأمني والمهني وسبل علاجها

تمهيـــد

يعيش العالم اليوم وضعية استثنائية من أهم توصيفاتها «التكيُّف مع العولمة» . . وكل البلدان أدخلت نفسها إلى غرفة العناية الفائقة، غرفة يسودها خطاب «سياسي ـ أمني» أهم مفرداته تتمحور حول العولمة : العولمة السياسية، العولمة الأمنية، العولمة الاقتصادية، العولمة الإعلامية . . وحتى العولمة القانونية[1] . تحتاج هذه الغرفة إلى كثير من الرعاية والمراعاة ومراجعة كل المفاهيم التي كانت ما قبل العولمة، واستشراف المعايير، الواجب اعتمادها . وعلى الإعلام أن يعكس هذا الواقع في إطار ثقافة وطنية تواكب الخطاب الإصلاحي أو التغييري مما يعزز عوامل الاستقرار والتوازن في جوهر الدولة الواحدة . . عوامل يحتاج إليها الوطن والمواطن . . وسلطة الدولة قبلهما .

والعولمة هذه، سواء نظرنا إليها على أنها«ظاهرة» أم رصدنا في طيَّاتها «نظاماً جديداً»، أصبحت تطاول مختلف الميادين، ومن الواضح أن المخاطر المنسوبة إليها تنطوي على مبالغات تصنف إنهزامية أو مرعبة أو في أحسن الأحوال غير مدروسة . ومصطلح «العولمة» الجديد تسَلَّل إلى أكثر من

---

(١) خلال مشاركتي في مؤتمر روما الأخير (١ ـ ٦ نيسان ٢٠٠٣) حول المنظومة التشريعية الوطنية والقضاء الجنائي الدولي، تبين لي ولكل المؤتمرين سعي بعض الخبراء القانونيين الممثلين للقوى العظمى إلى وضع الخطوط العريضة لبروتوكول إضافي ثالث إلى اتفاقيات جنيف للعام ١٩٤٩ يتضمن منظومة قانونية دولية جديدةً تضبط استخدام العنف الذي قد يكون كامناً في أي مكان وأي زمان، في زمن السلم كما في زمن الحرب، وتضمن أيضاً حقوق الإنسان .

خطاب سياسي واقتصادي واجتماعي وأمني، وبالدرجة الأولى إلى الخطابً الثقافي. . والثقافة هي الشكل الأساسي من أشكال الدعاية إلى جانب التعليم والإثارة والدفع والإعلان. . وكلها تلعب في مجال الإعلام. وأية محاولة للفصل بين هذه الخطابات هي عملية يائسة محكومة مسبقاً بالفشل لسببين:

- الترابط الوثيق فيما بينها بحكم جدلية المنطق.
- تراكم التفاعلات التاريخية مع المنظومة الفكرية والعقائدية عند أصحاب هذه الخطابات (الذين غالباً ما يكونون إلى جانب أصحاب القرار السياسي).

١ . ١ الثقافة والأمن

لنكن أكثر تحديداً. . في مطلع العام ٢٠٠٢ أصدر دارس الإسلاميات الأميركي «مارتن كرامر» دراسة بعنوان «الاستشراق المعاصر» «رؤية نقدية» انتقد فيها إنهماك أغلبية المستشرقين المعاصرين الغربيين في بناء جدار من العداء العالي بين المسلمين والغرب. . وقلائل جداً هم المستشرقون الَّذين يكشفون حقيقة الإسلام الحقيقي ووعي المسلمين الحقيقيين. ودفعت أحداث ١١ أيلول المقاربات العدائية إلى الواجهة دفعةً واحدة، المقاربات التاريخية والأنثربولوجية التي غلبت في كافة التحليلات[١]. المقاربات التاريخية تعرض صوراً نمطية عن الماضي الإسلامي، والأنثربولوجية تعرض جوهراً أصولياً للإسلام. وترافقت هذه المقاربات مع أطروحتي فوكوياما عن «نهاية التاريخ» وهنتنغتون عن «صراع الحضارات» اللتين تأسستا على تأصيل ثقافي وإن كانت أهدافهما «سياسية استراتيجية».

(١) من مضمون ندوة «الثقافة العربية ومرآة الغرب». بيروت ٢٢-٢٣/ ٣/ ٢٠٠٢.

وانقسمت الردود على هذه المقاربات بين «حوارية الإسلام» و «جهادية المسلمين» . . وأصبح الإنسان العربي مشدوداً إلى الوسائل الإعلامية وأكثر تعلّقاً وإلحاحاً لفهم العملية الإتصالية بين تلك المقاربات وهذه الردود رافضاً تحريضه أو إثارته وسوقه إلى عاصفة تمتطي الأمن وتسخّره لها بحجَّة «التكيّف مع العولمة أو مواجهتها» . . عاصفة تجعل من الخطاب الثقافي مظلةً لتطورات أمنية قد تطيح بالاستقرار الداخلي، وربما بالكيان .

وهذا الخطاب الثقافي الجديد الذي اجتاح ويجتاح منطقتنا بتوصيفاته كافة هو المحرك المحوري للوضع الأمني الاستراتيجي في بلدان المنطقة، ومن البديهي أن تنعكس هذه الحركية على مسألة الإعلام الأمني . لماذا؟ لأن القوات المسلحة مهما عظمت لا يمكنها أن تفرض الأمن على شعب ليس لديه ثقافة تربوية واحدة . وإن تدمير الأمم لا يحدث في ساحة القتال، بل غالباً ما يحدث في مجالات الفكر والثقافة .

يقول «إرنست باركر» عن الثقافة بأنها «ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت بها، وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل، وتغلب عيها بوجه عام عقيدة دينية هي جزءٌ من تلك الذخيرة المشتركة، ومن الأفكار والعادات الموروثة التي يتكوّن فيها مبدأ خلقي لأمة ما ويؤمن أصحابها بها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز بها عن سواها»[1] .

والرأي العام يتمظهر في نتائج التفاعل بين عناصر الذخيرة الثقافية لمجموعات تعيش وتندمج وترتبط فيما بينها وتتبادل فهل التأثير والتطور . وإن أي تسلل غريب إلى أحد عناصر النظرة الثقافية هذه ينعكس إخلالاً بالأمن، ويتفاقم هذا الإخلال في الشروط التالية :

(١) عواد، علي «الدعاية والرأي العام» بيروت ١٩٩٣ ـ ص ١٥٧ .

أ ـ الوضع الاقتصادي الصعب، وبالتالي تفتيش الجهل. فالإعلام الموجه، الدعايه، يستمدُّ قوته من السعي العلمي المدروس إلى السيطرة على الفرد والجماعة من خلال الدوافع الأساسية للسلوك البشري واستغلال هذه الدوافع بغية تحقيق أهدافه في الإخلال بالأمن. وقد وضع إبراهام ماسلو في سلمه الشهير «سلم الهيمنة» حاجة الأمن ودافع الأمان في الدرجة الثانية بعد الحاجات العضوية الفيزيولوجية[1].

ب ـ غياب الثقافة التربوية الوطنية، وبالتالي نشوء رأي لدى بعض الأقلية يتصف بالجمود والسلبية وغياب الولاء والانتماء للوطن والكيان، وتكون هذه الأقلية أهدافاً طيِّعة لمن يريد الإخلال بالأمن بعد تعبئة تحريضية.

ج ـ غياب التنمية المجتمعية التي يجب أن تكون متوافقة مع خصوصيات كلِّ مجتمع وكيان، (يراجع تحديد أرنست باركر للثقافة). وكل تنمية مجتمعية تتعارض مع الخصوصيات هذه تؤدي إلى ضياع عنصري الانتماء والولاء للكيان، وبالتالي إنهيار الكيان.

د ـ تخلف قنوات الاتصال، وبالتالي غياب الرأي العام الواحد السليم نتيجة «الفيتوات» المجتمعية. . ويتفاقم الإخلال بالأمن عند أول تحريض على الفتنة ومدّ مجاني بالسلاح. .

وتصبح صرخة «الثقافة التربوية» مدوِّيةً أكثر في سماء استقرار الأمن أم تدهوره، وحدة الإنتماء أم الفتنة عندما نقول: إن الرأي العام السليم لا

---

(١) هيز وتوماس. «تولي القيادة». المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٩. ص ٢٠٣.

يتطور إلاّ في ظل ثقافة تربوية وطنية واحدة تؤدي دورها في مجال الإعلام بشكل عام، وفي مجال الإعلام الأمني بشكل خاص من خلال ما ينتج عنها من أمن جوهري متماسك للكيان. على هذه الثقافة التربوية أن نأخذ في عين الاًعتبار حل المشكلات البنيوية للإعلام ـ ومن خلاله الإعلام الأمني ـ وفقاً للآتي:

١ ـ التطوير المجتمعي (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي... الخ) والإصلاح شرط توافقهما مع السمات الأساسية للكيان وتكويناته البنيوية.

تكون هذه العملية متكاملة وطويلة الأمد تبدأ من مرحلة الطفولة، فالمراهقة، فالنضج وصولاً إلى ممارسة الفعل في الحياة العامة.. وبالتالي، ولاء واعٍ للكيان وهويته. فالمواطنية ـ التي هي إحدى الركائز الأساسية للأًمن ـ ليست حقنة تعطى للفرد في سن الثامنة عشرة، بل هي وظيفة الحكم التي يجب ممارستها حيال المواطن منذ الطفولة[1]. تبرز هنا أهمية التعليم قبل الدعاية السياسية.

٢ ـ حسن استخدام وسائل الإعلام كقنوات اتصال بين السلطة والمواطن. اتصال فيه جرعات مدروسة من حرية التعبير منعاً للإخلال باستقرار الكيان وضياعه بين شعاري «تعدّدية الإعلام» و«الإعلام التعددي».

٣ ـ عرض الحقائق على المواطن مما يجعله يتقبل القرارات الهامة ويحيط بكل جوانبها ويطرد الشائعات الهدامة. فكلما تم حجب الأخبار عن الشعب كلما تعطش إليها وزاد من حاجته لاستقبال الأخبار

(١) هذا ما افتقده لبنان منذ الاستقلال في العام ١٩٤٣ مما جعل الشرعية والأمن في أزمات متلاحقة.

والشائعات الهدّامة.

٤ ـ السماح بتعددية الرأي شرط الإلتزام بسلامة الكيان ووحدته. يجب التمهيد لهذا السماح بتطوير مجتمعي طويل الأمد منعاً لتسلل غريب يطيح بالكيان بحجة تطوير هذا اليكان. وهذا هو جوهر العلاقة بين الأمن والإعلام الأمني وبروز الثقافة الوطنية كأحد جذور الأمن. فطبيعة الإعلام هي سيكولوجية ـ اجتماعية.

٥ ـ قياس الرأي العام واستطلاع اتجاهاته عند كل مفصل هام من مفاصل لعبة الحكم والقرارات المصيرية. يقول «ديساي» «يوجد في كل فترة معينة مجموعة الاعتقادات والقناعات والمشاعر المعترف بها والتي إذا اجتمعت ألَّفت الرأي العام لفترة مستقلة»«والرأي العام هو التيار اليومي الذي يغلب صوته صوت الآخرين»[١]. . وفي كل مجتمع ما وفي وقت معين منظومة عامة للقيم تؤالف بين الأفراد، وبدونها قد يتفكك هذا المجتمع. . والصورة الأولى لهذا التفكك هو انحلال الأمن وازدياد معدل الجرائم على اختلافها.

يسمح كلُّ ذلك في تأصيل الثقافة الحقيقية للكيان كي تستوعب التجربة التاريخية العميقة للشعب وتطويرها لتعانق المستجدات وتواجه تحولاتها. . وتواجه العولمة وتتكيَّف معها. . إنه الأمن الثقافي، المدماك الأساسي في بنيان الإعلام الأمني.

وتعتبر الثقافة العربية ـ الإسلامية ثقافة غنية وفاعلة في التراث الثقافي الإنساني، وهي مطالبة في الوقت الحاضر بتقديم الحلول الناجعة للتحديات

---

(١) الأبياري، فتحي «الرأي العام والمخطط الصهيوني». القاهرة ١٩٦٩. ص ٦٢.

«السياسية ـ الأمنية» الداخلية والخارجية. وتشكل هذه الحلول أرضية صلبة للأمن الثقافي، وبالتالي الإعلام الأمني.

على هذه الحلول أن تهدف في مقدمة أهدافها إلى تأمين الأمن الاجتماعي الذي يشمل مفهوم مختلف الجوانب الحياتية التي تهم المواطن. وبالتالي، تأمين التماسك بين أفراد المجتمع والإنتماء إلى كيان واحد[1]. كل ذلك يؤدي إلى استقرار «نفساني ـ اجتماعي» ـ وفقاً للمدرسة الاجتماعية بالفرنسية ـ الذي يفضي بدوره إلى استقرار سياسي يزيح عبئاً كبيراً عن كاهل الإعلام بشكل عام والأمني بشكل خاص. وبالتالي، وفي إطار أوسع، يتماسك الأمن القومي الذي يشمل حياة المجتمع بمجالاتها كافة، والذي يعتمد على القوة العسكرية كما على نماذج ثابتة للتنمية السياسية والاقتصادية. إن رؤية روبرت مكنمارا، وزير الدفاع الأميركي السابق حول هذا الموضوع تؤكد أن «الفقر والظلم الاجتماعيين قد يؤديان إلى تعريض الأمن القومي للخطر، تماماً مثل أي تهديد عسكري.. إن الأمن ينشأ من التنمية والمشكلة الأمنية ليست سوى الوجه السطحي الضيق لمشكلة الأمن الجدّي. فالقوة العسكرية قد تساعد في توفير النظام، ولكن ذلك لا يتحقق إلا بقدر يتناسب مع وجود قاعدة صلبة للقانون في المجتمع ورغبة أساسية في التعاوُن من جانب الشعب.. وخلف التنمية يتحقق القانون والنظام. إنها الحقيقة الأساسية للأمن[2]. وبالتالي إنها الأرضية الخصبة للإعلام الأمني السليم المتحرك في الواقعية وليس في الخيالات والأحلام والتماهي المتراقص.

(١) العوجي، مصطفى. الأمن الاجتماعي. نوفل للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٣. ص ٧١.

(٢) مكنمارا، روبرت. «جوهر الأمن». ترجمة يونس شاهين. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧٠م ص ١٠٥ ـ ١٢٥.

١ .٢ الإعلام والأمن والدين

إن الاختلاف في الرأي هو طبيعة البشر التي لا تبديل لها. بل إن الله خلقهم لكي يتباين منهم الرأي وتختلف التوجهات. فقد ورد مرات عديدة في القرآن تأكيد على أن إرادة الخالق هي أن لا يكون الناس رأياً واحداً.

فاسمعوا قوله سبحانه: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾** ﴾(سورة هود). ويخاطب سبحانه الرسول ﷺ: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾** ﴾(سورة يونس).

ولكن، إلى جانب تأكيد سبحانه الاختلاف في الرأي، تكثر في القرآن الكريم الآيات التي توضح مفهوم الأمن إلى جانب هذا الاختلاف وضرورته للإنسان: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾** ﴾ (سورة قريش). ﴿ **... وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...﴿٥٥﴾** ﴾ (سورة النور). ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ...﴿٣٥﴾** ﴾ (سورة إبراهيم).

وقد أنعم الله على قريش بنعمة الأمن بأن جعل لها وطناً آمناً: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾** ﴾(سورة العنكبوت). ويقول ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله».

وإلى جانب الاختلاف في الرأي وتأكيد ضرورة الأمن؛ أنظروا إلى الرب يوحي بأهمية الحرية التي لا تعني ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴿٩﴾** ﴾(سورة المجادلة). والحرية لا تعني شتم الآخرين ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴿١٠٨﴾** ﴾(سورة

الأنعام). والحرية لا تعني إساءة الظن بالناس ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ...﴿١٢﴾** ﴾ (سورة الحجرات)[1]. والحرية لا تعني التجاوز والاعتداء على حقوق الإنسان. ولقد أكدت توصيات مؤتمر الرياض حول «حقوق الإنسان في السلم والحرب» (١٣ـ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٣) أن الشريعة الإسلامية تكفل حقوق الإنسان ومعانيها الشريفة تشكل مبادئ الشرعية الدولية لحقوق الإنسان:

ـ الخلق كلهم عباد الله، أحبهم إليه أنفعهم لعياله..

ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً..

وقوله سبحانه وتعالى:

ـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾** ﴾ (سورة البقرة).

ـ ﴿ **...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾** ﴾ (سورة المائدة).

ماذا نستنتج من كل ما تقدم؟ إن ضياع الشخصية الإنسانية المبنية على القيم الإيمانية الآمنة المؤمنة المؤمَّنة في داخل الفرد هي المشكلة ـ الأساس للإعلام بشكل عام، والأمني منه بشكل خاص. إذ من ضياع هذه الشخصية تتفجر المشكلات الأمنية (الإصلاح بالقوة، المغالاة في الدين فكراً وممارسةً،

---

(١) من محاضرة نقيب الصحافة اللبنانية محمد البعلبكي في جامعة بيروت العربية (٥/ ٣/ ١٩٩٢).

أعمال العنف، الجريمة والفتنة في رداء القضية، المخدرات والحضّ على الإنحراف كعنصر تحفيز في أيدي المخططين أصحاب النوايا المبيتة. . الخ) مما يستدعي دوراً للإعلام الأمني. فإذا عالجنا الأساس، نكون قد قطعنا الطريق على المشكلات الأمنية. والمفهوم هذا، نابع من خصوصيات موضوع الإعلام الأمني[1] وارتباط مجالاته ـ مهما كان هذا المجال ضيقاً ـ بمجتمع الكيان والدولة وفقاً لتوصيفاته التالية:

ـ هو موضوع شامل وآسر: على الرغم من ارتباط الموضوع الأمني بفرد أو أفراد أو جماعة ويشمل المعنيين مباشرة الذين قد يشكلون حدثاً أو ظاهرة، فهو مرتبط أيضاً بالمجتمع ككتلة واحدة ويطاله بأسره على المستوى «النفس ـ اجتماعي» كما على المستوى المادي (يهتز المجتمع بأسره بدءاً من موضوع الإنحراف، أبسط الموضوعات الأمنية، وصولاً إلى موضوع الإرهاب حتى ولو كان هذان الموضوعان يمسّان المعنيين فقط في البعد القانوني الوصفي. . ولنا في مثل «عبدة الشيطان» خير مثالٍ على ذلك (شرح شفهي).

ـ هو موضوع دقيق وحساس: إن تعميم آثار معالجة أي موضوع أمني ومفاجأة المجتمع بالظاهرة التي تكمن بداخله عاملان هامان يطبعان الموضوع الأمني بحساسية قد تصل أصداؤها إلى الكيان والدولة. وتتجلّى هذه الأصداء في قمتها عندما تتوجه المعالجة إلى البنية الشعورية والكوامن الدفينة لدى المواطن بهدف إرشاده وكسب تأييده، وهنا نصل إلى

(١) هو كل إعلام ينشر ثقافة وطنية بنيوية تساهم في ترسيخ الأمن في الكيان أو الدولة.

التحريض «النفس ـ اجتماعي» الذي قد تصبح مزالقه دقيقة عندما يتركز على القيم الجنائية والإيمانية في آنٍ معاً . .

قلنا إنه يقتضي معالجة الأساس لقطع الطريق على المشكلات الأمنية . كيف يكون ذلك؟ يكون ذلك بالتنشئة على أن الأمن هو الحياة نفسها، هو نقيض الخوف، هو طمأنينة النفس وزوال الخوف (الأصفهاني)[1] . هو طمأنينة الفرد وثقته بمن يرعى مصالحه في جوهر مخافة الله (رب إني أخافك، وأخاف ممن لا يخافك) . . يكون ذلك عبر الضمانة السليمة للمصالح الحيوية لأفراد المجتمع مترافقة مع :

أ ـ التنشئة على العقيدة السليمة وخاصة في مرحلة الصغر، مرحلة التعليم .

ب ـ التنشئة على العبادة الواعية وليست المغالية، وعلى القيم الإسلامية كمحصنات ضد العبث بالأمن . والقيم التربوية هذه تستمدّ أهدافها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وتمتاز بأنها تعدّ الإنسان للحياة «الآمنة المؤمنة» الدنيوية وللحياة «الراضية المرضيّة» الأخروية بلا طغيان من إحداهما على الأخرى . وهي تؤمن بحق الإنسان بـ «السعادة والأمان» شرط أن يتوخّى مرضاة الله عملاً بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا . . .** ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة القصص) .

---

(١) منجود، مصطفى «الأبعاد السياسية للأمن في الإسلام» . أطروحة في جامعة القاهرة ١٩٩٠م .

جـ ـ التنشئة على الفضائل والأخلاق الحميدة التي تنتج سلوكاً يمنع أبناء الأمة (الكيان، الدولة) من الإرتماء في أحضان «الغريب المتربّص» تحت أية ذريعة، وبالتالي يمنع ترجمة هذا الإرتماء بصورة مخططة أو لاواعية إلى أعمال تبدأ بـ «الانحراف» ـ أصغر المواضيع الأمنية ـ وتصل إلى العنف والإرهاب مروراً بالجرائم والإدمان وخلافه.

د ـ التنشئة على ثقافة الفكر مع بعض ثقافة الجسد، وليس كما يحدث حالياً في أغلب وسائل الاتصال الجماهيري، حيث يتم التركيز على ثقافة الجسد وعلى فتات ثقافة الفكر ويكون الناتج إنسحاباً «نفسياً ـ اجتماعياً» للسلوك الغرائزي للناشئة ـ أو أغلب الناشئة ـ على ملكة الفكر بحيث يتسمَّم هذا الفكر ويتبلور في ردَّات فعل «عصبية ـ فيزيائية» غير مدركة تضيع معها القيم الأساسية للمجتمع الواحد والكيان الواحد. أليس الإخلال بأمن الوطن هو ردة فعل مضلَّلة عند شريحة غابت عنها ثقافة الفكر؟ ألا تصبح مهمة الإعلام الأمني صعبة جداً إذا تسمَّم هذا الفكر وخصوصاً في طور بداية النمو الفكري عند الطفولة والمراهقة والشباب؟

وتشهد الظواهر التالية عند الأطفال والفتيان على القلق وتخلف ثقافة الفكر:

أ ـ ازدياد جرائم الأحداث بذكاءٍ وخيالٍ لا يقلاّن عن الكبار.

ب ـ غياب مراقبة الأطفال والفتيان في المدارس.

جـ ـ تأرجح المراهق بين متناقضين: الموروثات المجتمعية والإعلام الغريب الوافد.

د ـ رفض المراهق لقيم الماضي وتبنّي فكرة بناء المستقبل «بما في جيبه وليس بما في رأسه».

كل هذه الظواهر تزيد من فرص ارتكاب الجريمة وتهديد الأمن والسلامة العامة وتجعل مهمة الإعلام الأمني صعبة إلى أبعد الحدود.

إن حاجتنا إلى الإعلام المرتكز على أسس علمية مادية إلى جانب ارتكازه على روح الدين والعقيدة والأخلاق وعلى روح المنجزات الإنسانية النبيلة هي حاجة ملحة، حاجة يتوقف عليها الصراع مع الفتن المبرمجة وقوى الضغط العالمية المتربصة بالثغرات التي قد تفتح في كيان أي دولة.

١ .٣ العنف المجهول في الإعلام الأمني

أذكر قولاً لأحد الأئمة ما مضمونه «إحذر الكلام في مجالس الخوف، فالخوف يُذهبُ العقل الذي منه نستمدّ، ويشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي نروم نصرته»..

من الملاحظ أنه بعد الاستماع إلى نشرة إخبارية أو قراءة صحيفة أو رواية مشاهد حادثة عنيفة مؤثرة حيث يتم شرح أحداثها المرعبة والوقائع المرهبة، تجتاح الرأي العام هزة عصبية محورها الخوف وتوتر نفساني ينتشر بقوة الصاعقة.

ويتم رصد ردّات فعل حقيقية للخوف عند الجمهور. في الفتن أو الحروب الداخلية: الجميع ـ معنيون وغير معنيين، مقاتلون وغير مقاتلين ـ في مناخ قسري واحد محوره الخوف والإرهاب، وليس هناك رجل عاقل لا يخاف من المجهول وعلى المصير ويرغب في النجاة.

الخوف هو شعور يتضمن مجمل النموذج الفيزيولوجي المدفوع بعمل الجهاز العصبي. تبرز مظاهره في الإرهاق، الرغبة في الفرار بعد فقدان الشعور بالأمان[1]. ويصبح الخوف الشديد هلعاً عندما يعتقد العقلاء خلال الفتنة الداخلية أنهم فقدوا التأثير على الموقف الحرج. . ويأخذ الخوف صفة الرعب (La Terreur / Panique) عندما يصيب الجمهور وينتشر بين أفراده دون معرفة الأسباب والمبررات. فردّات فعل الخوف الجماعي الأعمى ـ أي عند جهل السبب المباشر ـ تتميّز بتعطل القدرات الذهنية عند أفراد الجمهور وتبرز فقط ذهنية السلوك الغرائزي الجماعي[2].

ويضيف خبراء علم النفس بالقول، إن الخطر المجهول ينشر الخوف من حوله. إن انتظار الخطر المجهول والتوتر والخوف، عوامل تهاجم التوازن النفساني للإنسان، والعزلة والسكون والظلمة هي عوامل مماثلة ومساعدة. ويحدِّد «ديماس» بالقول: «إنها بالتحديد حالة التوتر هي التي تحدد ظهور الخوف وكذلك انتظار إحساس أو تأثير أو انفعال غريب متوقع، أو هزة على المستوى الفيزيائي (الجسدي) أو المعنوي أو العصبي»[3].

---

(١) بلغ الفرار في الحروب الداخلية اللبنانية (١٩٧٥ـ١٩٧٦) مرحلة الفرز الديمغرافي على أساس الانتماء الطائفي.

(٢) أورد «تشيكوتين» المثل التالي: «يكفي أن يصرخ أحد السائقين على الطريق»: «حن معرضون للقصف، إلى الخلف» حتى يطلق كل سائق صرخته ويقلّد السائق الأول، السائقون مشتتون ولا يتوقف الرعب إلا عندما يبتعدون نهائياً عن الطريق». عن تشيكوتين، سارج: «إغتصاب الجماهير بالدعاية السياسية» ١٩٥٢.

(٣) ديماس، ج. «البحث الجديد في علم النفس». باريس ١٩٣٣. ص ٣٥.

يتم استثمار العنف والخوف كعاملين مساعدين على تسريب الأفكار الهدّامة وزرعها في عقل الجمهور، إنها عملية «الإقناع بالقوة» واغتصاب نفساني بإعلام صارم يرتكز على الخوف. وتبقى الفكرة الأهم: إن تطبيق القاعدة الآنف ذكرها يختلف بين مجتمع وآخر وفقاً لمستوى ثقافته وتطوره ودرجة الوعي الجماعي لديه.

يهمنا من كلِّ ما تقدَّم تفسير المدرسة الإعلامية الأمنية لهذه الظاهرة ومقاربتها للإعلام الأمني بالقول«أن أجهزة الأمن قد تساهم في إثارة عوامل الخوف والرعب عندما يحصل الحدث أو الموضوع الأمني واستخدام القوة حياله دون إعلان الأسباب والدوافع والنتائج في إعلام »أمني شفاف يأخذ بعين الاعتبار سرّية الأمن العسكري»[1]. وهذا ما يسمى بالمبادرة الإعلامية الأمنية إلى بث الحقائق والمعلومات حول أي موضوع وقطع الطريق على ي تشويه للحقيقة من وسائل الإعلام الخارجية في إطار عناصر هامة هي:

أ ـ سد أبواب الشائعات الهدامة بواسطة المعلومات (تأييد توفلر في كتابه «تحوُّل السلطة» بأن «من يملك المعلومات يملك العالم»).

ب ـ تعزيز مصداقية العمل الأمني من خلال مصداقية الإعلام الأمني، والعكس صحيح.

---

(١) يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ...﴿٨٣﴾ ﴾ (سورة النساء). فالآية في شطرها الأول تبين موقف الناس تجاه نشر الأمن بينهم أو الهلع. ويبين الشطر الثاني أن أهل العلم والعقول الراجحة وولاة الأمر هم الذين يرجع إليهم في الأمور. عن بحث بعنوان «الإعلام الأمني من وجهة نظر الإعلامي الممارس». للدكتور عائض الردادي. مجلة «الدراسات الأمنية». العدد ٥. بيروت ٢٠٠١. ص ١١١.

جـ ـ فورية المبادرة، وبالتالي تدعيم الثقة بالمضمون . .

د ـ تجنب الإنزلاق في متاهة الرد والرد المضاد في غمرة ظاهرة ما يسمّى بـ «الإغراق الإعلامي» .

هـ ـ عدم عرض أحداث الموضوع الأمني بطريقة تمزج الحقيقة بالإيحاءات الغرائزية والتحاليل المهيجة فتكون النتيجة تحريض الغريزة القتالية وتحريك حبال التعصب . لنتذكر دائماً : «تظهر وسائل الإعلام مسؤولة عن كل أشكال العنف ابتداء من الجنوجية الصبيانية (Delinquane juvenile) وانتهاء بالفتن والهياج الشعبي»[1] .

والناتج الأكيد هو : الإقناع واليقين بصوابية الإعلام الأمني، وانحسار موجة الخوف والرعب من الأعمال المخلة بالأمن وخصوصاً تلك التي تتمظهر بالعنف والإرهاب .

أريد هنا التركيز على أن نشر الحقائق عبر المبادرة الإعلامية بمصداقية تجريبية سيؤدي إلى منع حصول أحداث أمنية مماثلة وخصوصاً إذا تم تأسيس الإعلام الأمني على :

١ ـ موضوعية المعلومات وتدعيمها بالحقائق . .

٢ ـ سبك المعلومات في القالب الملائم (خبر، بيان معلن، بيان مسرَّب، صورة، محاضرة، ندوة إذاعية أو تلفزيونية، خطاب جماهيري ... الخ) .

---

(١) دراسات ووثائق إعلامية . «وسائل الإعلام في عالم العنف» . عدد ٦٣ . يونيسكو ١٩٧١ ص ٧ .

٣ ـ إشباع المعلومات لرغبة الجمهور في معرفة تلك الأحداث الأمنية وعدم فتح الثغرة أمامه لطلبها من وسائل خارجية تكون مغرضة أو متطرّفة في أغلب الأحيان.

٤ ـ حالية المعلومات (Actualités) قبل تشابك الأحداث وتضارب المعلومات.

٥ ـ شفافية المعلومات وعدم التكتم وإحكام الرقابة عليها إلا في حدود سرية الأمن العسكري. لقد أصبح الجمهور يبحث عن الشفافية والحقيقة والتوازن ويرفض القيود في عصر القرية الإعلامية الواحدة.

عبر كل ذلك، تكون المبادرة الإعلامية فعالة وتتكامل مع الأمن الفاعل.. ومع هذه وتلك يتفاعل جمهور الكيان أو الدولة في جوهر كلام سبحانه وتعالى في خطابه لنبيّه صلَّى الله عليه وسلم: ﴿... **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا منْ حَوْلِكَ** ...﴿١٥٩﴾﴾(سورة آل عمران).

١ .٣ .١ إعلام العنف وعنف الإعلام

العنف هو وباء، وبالتالي فهو معدي. هناك ما يسمى عدوى العنف بواسطة العنف وبروز ظاهرة تصور الخطر الأمني من ولادة افتراضية للعنف[١]. فالعنف والخوف يتوالدان ويتغذيان من أي شيء ولأي سبب. إن المبالغة في نشر صور العنف يجعل ظاهرة الرعب (Panique) هائلة، وتصبح ممارسة العنف سهلة في سياق تبرير نفساني مقبول من الفرد. ينطبق هذا المضمون أثناء تعرض مجتمع معين لأزمة كبيرة مثل الفتنة الداخلية.

---

(١) عواد، علي. من مقال بعنوان «حرب نفسية وجماهير.. الخوف والضمير العام». مجلة «الجيش». عدد ٦٨. ص ٣٦.

وبمقاربة أخرى، عند سماع أو قراءة أو مشاهدة أي عمل عنفي، أول ما يفعله الفرد هو وضع نفسه مكان الضحية حسب ما يدل علم النفس التجريبي. وتصبح هذه الصورة أكثر خطورة عندما تروج وسائل الإعلام بأن العنف موضوع النشر هو عنف غير مبرر ولا مسوّغ له ولا يمكن فهمه أو سبر أغواره. فيظهر العنف وكأنه الهدف بحدّ ذاته.. ووضعه وتحليله بأشكال الوحشية والدموية يدفع إلى إثارة مبادرة الفرد إلى ارتكابه.

والخلاصة أنه إبان الأزمات ـ وخاصة الفتن الداخلية ـ تبقى وسائل الإعلام موضوع مقارنة بـ «الفيروس» الذي قد ينقل عدوى العنف والخوف المجاني وينتهي الأفراد في دوامة الخوف من بعضهم البعض ومن ظلالهم المرافقة لهم. ونصل إلى الجواب التقليدي المعروف الذي يطلقه الدعاة: نحن نعطي الجمهور ما يحب قراءته وسماعه.. فلكي يؤخذ الإعلام يجب أن يحتوى على عنصر من العنف المشوِّق.

ولكن.. علينا التذكر دائماً أنه عندما ينشر الإعلام الأمني أخبار العنف غير المبرر والعدوانية المجانية، فهو يساهم في خلق اضطراب نفسي وتوتر عصبي في المجتمع.. ثم استعداداً طبيعياً لممارسة العنف كردة فعل، وهبوط في الضمير العام.. فتنهار المناعة الخلقية، ثم ينهار المجتمع.. وينهار الكيان والوطن.

١ .٤ مشكلات الإعلام في الأزمات الأمنية

لدى حدوث الأزمة، أي الإخلال الخطير والمفاجيء في العلاقات بين عاملين متعارضين أو النقطة الحرجة التي يتحدّد عندها مصير تطور ما، تبرز مهمة القيادة السياسية في تحديد الهدف الاستراتيجي ومهمة الإعلام في

خدمة هذا الهدف. والمشكلة الأولى هي في أن يتخلى السياسي عن دوره كمرشد وموجه ليقحم نفسه في تفاصيل العمل الإعلامي دون الإصغاء إلى التقييم العلمي لحركية الرأي العام ذات الأبعاد «النفس ـ اجتماعية».

تعترض الإعلام في الأزمات مشكلات تتوزع حسب التطور الزمني للأزمة وفقاً للآتي:

١ .٤ .١ مشكلات ما قبل الأزمة

١ ـ تطلّب المعلومات: العلاج هو في ضخ المعلومات الإخبارية الغنية حول حقيقة الأزمة، عناصرها، عواملها، دوافعها وأسبابها. الابتعاد عن الإعلام الانفعالي الفج والتوجيهي ـ التمجيدي» الذي يؤدي غالباً عكس الهدف المطلوب.

٢ ـ تطلُّب الثقافة التحليلية ـ النقدية: العلاج هو في اعتماد المنهج التحليلي ـ التفسيري ـ النقدي لأسباب الأزمة، أبعادها الحقيقية وتوضيحها بشكل معمق في ضوء الهدف الاستراتيجي الذي حددته القيادة السياسية ورسمه ولاة الأمر. تبرز أهمية هذا العلاج للأسباب التالية:

أ ـ الأزمة تجتاح المواطن بكم هائل من المعلومات وبإغراق إعلامي قد يكون مغرضاً.

ب ـ الأزمة تضع المواطن أمام خيارين: إما الاقتناع بالخطاب الإعلامي السلطوي أو رفضه.

جـ ـ الأزمة تستدعي تحصين المواطن تجاهها وضد تأثير أي خطاب دعائي مختلف.

د ـ تطلب سلطة الكلمات : يتأثر الجمهور عميقاً بالصور والتخيلات والمعاني التي تثيرها الكلمات . واستخدام الكلمات يمتلك قوة غامضة تقارب «السحر» على حدّ تعبير «غوستاف لوبون»، ويستطيع أن يثير الزوابع في النفوس كما يستطيع تخديرها . والحجج لا يمكنها أحياناً أن تقاتل ضد بعض معاني الكلمات وبعض الصيغ التي يمكنها أن تخلق في الجمهور وأعماقه صورة مسيطرة، خارقة وأسطورية أحياناً . ليست الكلمة سوى نداء الصورة وهاتفها و «الكلمات» التي لا تملك القدرة على استحضار صورة معينة تتآكل في الذهن وتفقد قدرتها على «الاستيقاظ» و «الإيقاظ»[1] .

وكما يتعطّش الجمهور إلى الحقائق فهو يتعطش أيضاً إلى الصور والتخيلات الضاربة التي تريح عمقه النفساني وكوامنه الشعورية الدفينة . يقول «لوبون» : إن معرفة فن إثارة مخيلة الجمهور هي معرفة فن حكمه وقيادته» .

العلاج إذن هو في حسن اختيار المصطلحات والكلمات المستخدمة في إعلام الأزمة، تعميمها والتركيز عليها بـ «إنسلالية» أعلامية مبرمجة في وسائل الإعلام كافة .

١ .٤ .٢ مشكلات أثناء الأزمة

١ ـ تطورات متلاحقة للأزمة : العلاج هو في خلق أساليب إعلامية مبتكرة تراعي السمات الأساسية التالية للأزمة :

---

(١) إننا نبذل جهداً كبيراً لكي ندمر مدفعاً في يد جندي . . أليس من الأفضل أن توجد الوسيلة التي تجعل يد هذا الجندي تهتز فتجعله يخطيء إصابة الهدف؟ . القول لقائد ألماني أثناء الحرب العالمية الثانية .

أ ـ الإعلام أحد الأسلحة الاستراتيجية في معالجة الأزمة .

ب ـ الإعلام يواكب التطورات بصورة فورية متزامنة معها .

جـ ـ الإعلام يشبع الجوع المتزايد إلى المعلومات .

د ـ الإعلام يتصدّى لدعاية الخصم ويحصّن المواطن من مخاطرها . الحذر من الوقوع في المبالغة واصطدام وقائع الأحداث بالمضمون الإعلامي . أي على الإعلام الأمني صون مصداقية الخطاب السياسي للدولة .

هـ ـ الإعلام يبقى في إطار الاستراتيجية العامة للقيادة السياسية والمحددة قبل اندلاع الأزمة مع إجراء التعديلات وفقاً للتطورات الناشئة .

و ـ استطلاع مستمر للرأي وقياس اتجاهاته حيال الخطاب الإعلامي .

ز ـ إعداد الرأي العام للنتائج المتوقعة للأزمة مهما كانت طبيعتها .

١ .٤ .٣ مشكلات بعد الأزمة

١ ـ الفراغ الإعلامي : الذي قد ينشأ عند التوقف عن الاهتمام بالأزمة وعدم التركيز عليها وفق سلم أولويات القيادة السياسية . العلاج هو في التدرج في تخفيف التركيز على الأزمة وعدم إهمال «المعالجة الزاحفة» لأسبابها الأساسية المحددة في المنهج التحليلي ـ التفسيري ـ النقدي .

٢ ـ عدم تقييم الأداء الإعلامي : العلاج هو في إجراء هذا التقييم فور انحسار الأزمة ووفقاً للمعايير التالية :

أ ـ الموضوعية والواقعية .

ب ـ المصاعب ومجابهتها

جـ ـ المرونة والمبادرة

د ـ الأداء المهني لرجال الإعلام

هـ ـ الأداء المهني للوسائل المستخدمة

و ـ استجابة الرأي العام وقياس اتجاهاته

ز ـ مجابهة دعاية الخصم .

٣ ـ عدم استخلاص العبر : العلاج هو في تحديد رؤية مستقبلية مبنية على فهم معمق لأسباب الأزمة وتطوراتها . رؤية تأخذ بعين الاعتبار أيضاً تقييم الأداء الإعلامي المذكور آنفاً .

١ .٥ الإرهاب والإعلام الأمني : البعد الاستراتيجي

سئل أحد المنتجين الغربيين لماذا لا يعكس في أفلامه صورة عربي عادي فأجاب : «إن بعضنا يتردد في إظهار عربي جيد لئلا نوصف بأننا مؤيدون للعرب» . ويصف «سام كين» هذه الحقيقة في إحدى محاضراته عام ١٩٨٦ : «يمكنك أن تضرب العربي مجاناً ، إنهم أعداء مجانيون ، شريرون مجانيون» .

حتى المستشرق صديق العرب ، جاك بيرك كتب يقول : «إن شخصية العربي تبدو قليلة الانفتاح على الغير ، له صورة الكهف والمتاهة التي تمتنع على الخارج» . .

وكانت لوحة القرن العشرين أكثر تعقيداً . كان لقضايا هذا القرن التأثير البالغ في تشكيل صورة العربي العاشق للعنف ، الساعي إلى زعزعة استقرار

الغرب وتهديم حضارته، وتشكيل مقولة أنه في داخل كل عربي إرهابي كامن لا يتوانى عن تفجير حقده على منجزات الحضارة الغربية.

وجرى الكشف عن العنف اللاَّمعقول وألصقت بالعربي صورة العنيف الذي يختزن بداخله إلهاً عنيفاً. وكان الخلط بين المعتقد والإرهاب السياسي مما زاد في الصور النمطية السائدة. ولعب الجهل حيناً والعداء والإثارة الصحفية أحياناً الدور المحوري في تكريس هذا التنميط السلبي.

ويكفي أن تنشر مجلة فرنسية أسبوعية صورة على غلافها لمصلِّين في الجزائر ـ والمذابح تهز المشاعر ـ مع العنوان التالي: «الإسلام على بعد ساعتين طيران (Islam à deux heures de vol ' I) والمقصود بالطبع في هذه الرسالة أن «الإرهاب على الأبواب».

وبدأ الاستشراق الجديد في وسائل الإعلام. فلم يعد غريباً أن تنشر صحيفة يومية مقالةً في نقد الإسلام، أو أن المسلمين لا مخرج لهم في العولمة إلاَّ بالخروج من الإسلام كله.

إن التركيز المستمر على السمة الإرهابية للإنسان العربي يغذّي نظرية «التسهيل الاجتماعي» للإرهاب، وبالتالي تعميمه ولجوء الفرد إليه في داخل الأوطان العربية كأسلوب جديد للتعبير عن الرأي أو وسيلة مشروعة ومقبولة لإحداث تغيير سياسي ما أو إصلاح اجتماعي محدَّد..

ما هو العلاج لهذه المشكلة؟ كما قلنا سابقاً: إن المدخل الأساس للتغيير في الصور النمطية «الإرهابية» السائدة هو إيلاء البعد الثقافي الأهمية التي يستحقها كإحدى أدوات المعالجة خاصة في مضمون ما يسمى بـ «جدلية الضواحي» بالمفهوم الجغرافي وهي علاقة التأثير المتبادل بين العواصم الأوروبية والضواحي العربية الإسلامية لا سيما المتوسطية منها..

أؤكد هنا أن ما تقدم يساهم في علاج بعض مشكلات الإعلام الأمني في بعده الاستراتيجي. نحن ضحايا التنميط، والتنميط لا يموت وحده بل على ضحاياه أن تلاحقه وتقتله. ولا أبالغ إذا قلت أن محاربة هذا التنميط بوسائل الإعلام وبمنهجية علمية تساهم في إبعاد العنف عن مجتمعنا من خلال منع «التسهيل الاجتماعي» للإرهاب في أوطاننا. وبالتالي، علاج إحدى المشكلات الاستراتيجية للإعلام الأمني.

١ .٦ الموضوعية في الإعلام الأمني والمهني

أكَّدنا في عرضنا السابق مسألة الإقناع في الإعلام من خلال عدة عوامل أهمها الموضوعية وتطابق المضمون الإعلامي مع الحقائق. من خلال التجارب التي رصدتها في السابق وتناولتها في مؤلفات ومقالات وندوات إعلامية تبيَّن لي أنَّ الموضوعية تكون أكثر عرضة للتساؤل والاهتزاز والشك في الأحداث الأمنية الداخلية بدءاً من التظاهرة ـ أبسط الحركات الجماهيرية ـ وصولاً إلى الفتنة التي تمتطي العنف والإرهاب. يشمل الشكُّ هذا وسائل الإعلام الخارجية كما الداخلية وحتى الصديقة منها لأن المضمون الإعلامي يخضع لإرادة المحللين وتكوينهم النفسي والفكري ومدى خضوعهم لإغراءات وتأثيرات معينة.

على الإعلام المهني والأمني أن ينتبه إلى هذه المسألة، كما عليه اعتماد منهجية تحليل المضمون الإعلامي بهدف قياس الموضوعية فيه وكشف «التسلُّل» الهادف إلى تأجيج الفتنة تحت ستار التغيير وتقديم الحقيقة للناس. وأقترح هنا إنجاز الاختبارات التالية:

أ ـ اختبار المجاهرة: من هو منتج المضمون الإعلامي الذي يعلن صراحة ومجاهرة عن هويته وعمن يقف خلفه؟

ب ـ اختبار المطابقة: هل يتطابق مضمون المادة الإعلامية حول الحدث الأمني المحدد مع مادة يروّجها الخصم؟ (الانتباه إلى أنه في المسألة الأمنية هناك أخصام ظاهرون، وهناك المحركين الحقيقيين).

ج ـ اختبار الإتساق: هل يتسق المناخ الإعلامي (أمنياً كان أم مهنياً) الذي يخلقه هذا المضمون مع المناخ الذي سبق أن أشاعه أو يشيعه الخصم في قنواته الإعلامية؟

د ـ اختبار العرض: ما هي العوامل السلبية والإيجابية في حركية الموضوع الذي يثيره هذا المضمون؟ (يلعب تحديد الوسيلة التي تحرك الموضوع وأهميتها دوراً هاماً).

هـ ـ اختبار المصدّر الظاهري: ما هي مصداقية ورصيد ثقته لدى «الجمهور ـ الهدف»؟

و ـ اختبار المصدّر الخفي: من هو المصدّر الحقيقي لهذا المضمون؟ لماذا تخفّى وتقنَّع؟ ما هي قوته؟

ز ـ اختبار التمييز: هل العبارات والتسميات والألفاظ والرموز والشعارات المستعملة في هذا المضمون تتفق (في ما تخلقه من صور وتخيلات ومشاعر وتحفيز سلوكي إرادي أم لا إرادي) مع تلك التي يستعملها الخصم؟

ح ـ اختبار التشويه: هل عمد مروِّج المضمون الإعلامي إلى مقارنة هذا المضمون بمضامين مماثلة ومؤكدة روجها العدو بحيث خلق هذا المضمون أو فسر مصداقيته لدى «الجمهور الحليف» (هو المجتمع أو الشعب أو شريحة واسعة محددة).

ويبرز السؤال: في ظل دقة وصعوبة هذه المهمة، ما هي مميزات صانع الإعلام الأمني الذي سينفذها؟ نجيب ونوجز بأن عليه:

١ ـ الإطلاع على مختلف تقنيات العمليات الأمنية مما يسمح بالتناغم بين الإعلام الأمني والمواقف «العسكرية ـ الأمنية».

٢ ـ الإطلاع على السياسة الأمنية للدولة وأهدافها مما يسمح بالتفسير الدعائي السليم والواثق.

٣ ـ الإطلاع النظري والمهني على مختلف وسائل الإعلام وتقنيّاتها الحديثة.

٤ ـ الإطلاع المعمَّق على نظريات العلوم الحديثة، وخاصةً تلك المتعلقة بعلم النفس الحديث وتجاربه، وعلوم السياسة والتاريخ والاجتماع والبيئة والأعراق والرأي العام والدعاية وما يتفرَّع عنها. إنها الثقافة المهيمنة.

٥ ـ الإطلاع الواعي على العادات الاجتماعية، نمط التفكير والسلوك، التاريخ، الواقع السياسي، اللغة، المعتقدات في مجتمع الصديق ومجتمع الجمهور المستهدف.

وأضيف إلى هذه الكفاءات كفاءة سادسة وتحذير واحد: الأولى هي حاسة شم «سياسية ـ أمنية» قوية تسمح له تحديد مدى الفعل الإعلامي الأمني في أي مناخ سياسي سواء كان ضيّقاً محلياً، أم إقليمياً، أم دولياً. والتحذير هو من إختيار صانع الإعلام الأمني من الحاقدين جداً على الخصم. فالحقد الأعمى قد يعمي بصيرته عن استدراك ردود فعل الخصم ويمتلكه ميل نحو التهوُّر الإنفعالي في مضمار عمله النفساني الشفّاف.

وتبقى مشكلة التقدير الشخصي لصانع الإعلام الأمني. نوجز أيضاً ونقول بأن عليه أن يكون: مقدّراً لحجم المسؤولية الكبيرة، معطاءً بولاء وثبات إنتماء، ملتزماً بمواثيق شرف وعمل رسالة الإعلام، ومبدعاً في منهجية عمله (يراجع الملحق رقم ١).

قد يتساءل البعض: الموضوعية الإعلامية تلتصق بمسألة حرية الإعلام. ما هي حدود هذا الالتصاق؟

بكل تجرّد وبخبرة قد أسمح لنفسي إدعاء امتلاكها من خلال رصد علمي معمقٍ (أمني-إعلامي) لأزمات أمنية داخلية في القرن الماضي أقول:

١ ـ الإعلام هو المسؤولية الواجب إخضاعها إلى سلطة القضاء وقوة القانون[١] تحت مظلة عليا هي مظلة الأمن القومي للكيان واعتباراته التي يحدّدُها ولاة الأمر في إطار أربع ركائز:

أ ـ تقديم الإعلام الوطني العام على الإعلام الخاص أو الأهلي أو التعصُّبي، الإعلام الذي يلغي مركبات الفتنة من بنية الثقافة التربوية.

ب ـ التخلي عن نظرية «رفض الآخر» واستبدالها بمنطق «استيعاب الآخر» بشرط عدم ضلاله وعدم ارتهانه للخارج ودخول الجميع في الخطاب الواحد للكيان.

---

(١) الحرية المتفلته من قواعد المسؤولية تجعل وسائل الإعلام تنزلق في الصراع الداخلي وتشارك في ذبح الحقيقة. لا يمكن أن نعطي الصغير سلاحاً فيصبح كبيراً ونرميه في حلبة الصراع ليأكل «الآخر» باسم الحرية، كما لا يمكننا أن نرمي الحمل في حظيرة ذئاب ونقول له «أعطيك حرية الدفاع المشروع عن نفسك»؟..

جـ ـ عدم المس بالأساسيات المجتمعية في أي مضمون إعلامي، وخصوصاً الأساسيات الثقافية (الحضارة، العقيدة، العادات، التقاليد.. الخ).

د ـ بناء قوى أمنية قوية تفرض سلطة القانون وقضاء صارم يمارس صلاحياته. قوى أمنية وقضاء يمارسان دورهما بكل حزم.

٢ ـ الإعلام هو المسؤولية المعقدة التي تبدأ بصورة اساسية منذ الطفولة والصبا. هو الذي يخلق ثقافة وطنية كالماء ينصب نقطة أثر نقطة، فيحفر في نفس الطفل والمراهق أخاديد تصعب إزالتها ومحوها وتصنع منه مواطناً صالحاً يتطلَّب الموضوعية غير منساقٍ خلف «الإعلام الأصفر» ولا يرتهن لأعداء الوطن والكيان.

هذا هو البعد الاستراتيجي لحرية الإعلام الأساسية. وإننا نلحظ اليوم بدايات عولمة وسائل التسلية والإثارة والغرائزية على حساب القيم.. وعلينا ضبط الحرية في بث واستقبال الإعلام.. وحسبنا هنا أن نشير إلى الجهود التي تبذلها فرنسا للحفاظ على ثقافتها وتراثها الحضاري[1].

٣ ـ الإعلام الأمني له خصوصيات في مسألة حرية اعلام ومشكلات يتميز علاجها في الجوانب التالية:

أ ـ عليه إيجاد تواصل متواصل بين أجهزة الأمن ومجتمع الكيان أو الدولة.

ب ـ عليه توعية المجتمع بدور أجهزة الأمن وإجراءاتها وتنفيذ

(١) النابلسي، محمد أحمد. «أساليب الارتقاء بالإعلام الأمني». مجلة «الدراسات الأمنية». العدد ١٠ حزيران ٢٠٠٢. ص ٣٠.

استطلاعات الرأي والملاحظات حيالها بهدف كسب تعاون هذا المجتمع مع السياسة الأمنية العليا للكيان.

جـ- عليه توعية رجال الأمن بأهمية دورهم وتعاملهم مع الجمهور على اختلاف شرائحه، وبأن أية صورة سيئة لبعضهم تنسحب على صورة سلطة الدولة.

د- عليه بناء صورة طيبة لأجهزة أمن الدولة والنظام قوامها: المعالجة الموضوعية للمعلومات الصحيحة وتصحيح الانطباعات السلبية.

هـ- عليه تكوين رأي عام مستنير مدرك واجبات المواطن تجاه وطنه وأمته وإخوته في المواطنية. الهدف هو معالجة مشكلة المغالاة في الرأي والمغالاة تطلب الإصلاح عند بروز أي منعطف حاد في علاقات الموالاة والمعارضة داخل الدولة، أو أي منعطف حاد في السياسة الدولية.

و- عليه التعامل بحكمة مع الأزمات الأمنية الطارئة في المجتمع أو بين بعض هذا الأخير وأجهزة الأمن.

ز- عليه تكوين حصانة فكرية لدى المواطن تمنع المؤثرات السلبية في الأمن الاجتماعي. وتبرز النقطة المركزية في حكمة التعامل مع الثقافات والمؤثرات الوافدة في الإعلام الفضائي وفي ترشيد المواطن إلى الارتكاسات الأمنية التي قد تنشأ عنها وخصوصاًعند النشء الطالع (المراهقون خصوصاً)[1].

(١) في البلدان التي عاشت فتناً داخلية، كان المراهقون هم أدوات تلك الفتن. عناصر التحريض هي: التضليل وتسميم العقول، التسهيل «النفس- اجتماعي للعنف»، تعميم ثقافة الجسد والجنس في مقدمه، التماهي بقشور الثقافة الغريبة المضلِّلة أو الوافدة، تسهيل تعاطي المخدرات والكحول..

حـ ـ عليه رفع مستوى الوعي الأمني لأفراد المجتمع وتعميم إرشادات السلامة العامة. التقويم المستمر لهذا الوعي وطلاع المراجع المسؤولة عن النتائج[1].

ومن خلال تصدي الإعلام الأمني لهذه المشكلات يكون قد مارس دوره الحاسم في السياسة الأمنية للدولة في المجالات التالية:

- توحيد النظرة إلى مجريات الأحداث الأمنية ومساعدة السلطات في فرض الأمن والسلام.
- إعتبار المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات والترويج لفكرة الوحدة الوطنية.
- قمع أي محاولة لإستغلال حرية الرأي لتوجيه الجمهور ضد سياسة الدولة الأمنية.
- توحيد نظرة الشعب إلى مجريات الأحداث بصورة علمية وواقعية.
- تعزيز وحدانية الولاء والإنتماء للدولة.
- احترام الشخصية الإنسانية في كل فرد والمشاركة في عملية التربية الوطنية الصحيحة.

---

(١) مسبل، عبد العزيز. «التنظيم الإداري لأجهزة الإعلام الأمني». بيروت ٢٠٠٠، ص ٨٩.

الخاتمة

لنعمل جاهدين على تعميق دور الإعلام ـ أمنياً كان أم مهنياً عاماً ـ وتوظيفه لخدمة الوعي الوطني والقضايا الملحة ذات الطابع الأمني. لنحرص على أن يكون هذا الإعلام واقعياً يواكب تطلعات القادة ولاة الأمر والجماهير في آن معاً. لنؤكد تحصين الإنسان العربي من خلال ثقافة الفكر والعقيدة باعتبارهما الركيزة الأساسية لأمن يحارب الانحراف والجريمة، لنلتزم إلى جانب القضايا المصيرية الهامة دورٍ التوعية من اضرار المخدرات وتطبيق قواعد وآداب المرور والوقاية من أخطار الحرائق.. الخ. لنحارب الشائعات في مهدها بالحقائق الواقعية. لنواكب العولمة في ثقافة تربوية واحدة عنوانها «التحديث في الحوار» وإطارها المحافظة على خصوصيات الذات والكيان في جوهر وحدانية الولاء والانتماء للدولة. لنستخدم الوسائل الإعلامية كافة في إطار ميثاق شرف إعلامي يضع التحديدات الأخلاقية للعمل الإعلامي المهني والأمني. لنتصدّى لدوافع العنف والخوف اللامبرَّر والإرهاب كما سبق وشرحناها فنؤكد أحد الأبعاد الاستراتيجية للإعلام الأمني..

مثل قديم يقول: «أتركوا الفكر للفلاسفة، ولا تطلبوا إليهم التدخل في شأن حكم الرجال. فبالمنطق والعقل حيناً، ورغم إرادتهما أحياناً تمَّ خلق مشاعر الشرف، الإيمان، المحبة، الولاء، الإنتماء، المجد، الحرية وخلود الأوطان..» هذه المشاعر كانت وما تزال الحوافز الكبيرة لكل الحضارات والثقافات.. والإعلام صانعها.

الملحق رقم (١)

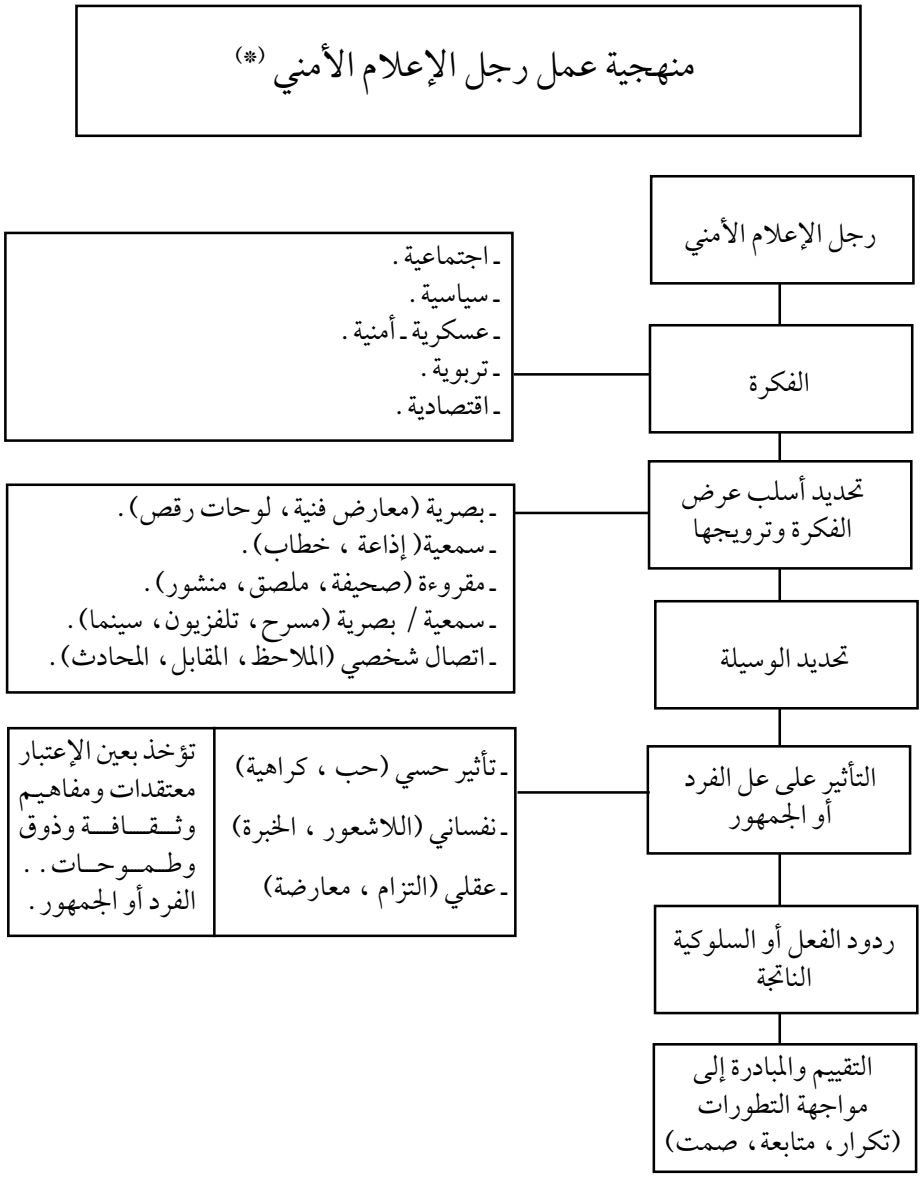

(*) يحلُّ تحديد المنهجية مشكلة مواجهة العمل الإعلامي الأمني . ويتجلَّى نجاح رجل أو صانع الإعلام الأمني بمدى إبداعه في منهجية العمل هذه .